

في العامية المغربية

الأستاذ أنور الجندي

ويقول : يجب ان يعيد التاريخ نفسه في تفصيح العاميات العربية وتوحيدها فقد تعددت اللهجات في الجاهلية بتعدد القبائل الكبرى ، وخفت اوجه الخلاف بما استوتق اذ ذاك من صلات في الاسواق الاقليمية والمبادلات التجارية والمساخرات ، ولقد لعبت دورا هاما في انتقاء اجود اللغات فنسقت واجتشت اقصل لغات العرب ، وحاول بعض العلماء تفصيح اللهجات العامية لمثل الاستاذ عبد القادر المغربي ويرجع عدم نجاحهم الى عدم اتخاذ مسطرة منطوية معينة جماعية ، مصادق عليها من مجموع الدول العربية ، لمواجهة الفروق المختلفة الناتجة عن تشعب القواعد العامة ، تبعا لاختلاف التأثيرات القبلية العربية او التأثيرات اللغوية الدخيلة .

وللاستاذ بنعبد الله ابحاث مختلفة متعددة ، نشر كثيرا منها في المجلات العلمية المغربية ، وقد قرأت اولها في مجلة « رسالة المغرب » (1946) التي كان يرأس تحريرها الاستاذ عبد الكريم غلاب مدير تحرير جريدة العلم كبرى الصحف المغربية اليوم . وقد كشفت هذه الابحاث عن اتجاه كاتبنا نحو احياء التراث والتحقيق العلمي في مجال الادب والتاريخ معا ، في دراسات عن تراث ابن خلدون ، وتراث المغرب الفلسفي ، ومؤرخي الدولة العلوية ، ومراكز المغرب الثقافية ، والمعاهدات بين المغرب وأروبا في العصور الوسطى .

واعظم ما لفت نظري دراسته « مظاهر الحضارة المغربية » وهو بحث مطول بدأ في نشره عام 1952 ، ثم اصبح من بعد مؤلفا ضخما من مؤلفاته ، استكمله بدراسة اخرى (بعطيات الحضارة المغربية) ، ثم « الفن المغربي في مختلف العصور » ثم

طلعت علينا « دار الارشاد » بمؤلف جديد قيم من انتاج الاستاذ انور الجندي المعروف بضلوعته وعمق بحوثه وهو « مفكرون وادباء » ترجم فيه لتسعة وثلاثين من كبار رجال الفكر في العالم العربي فافرد بحثا للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، ونحن ننشر ما يتصل بالنعرب والمكتب الدائم من هذا البحث شاكرين للاستاذ الكريم مجهوده الفياض للتعريف بمقومات الوحدة الفكرية في العالم العربي ودحص ترهات النعرب والمغربين .

قال حفظه الله :

عبد العزيز بنعبد الله هو المشرف على مجلة « اللسان العربي » التي يمدرها المكتب الدائم لتنسيق النعرب في العالم العربي ، وله دراسات اللغوية المتعددة ، ولقد كان علي ان اذكر عمله الضخم الذي يقوم به ، وهو معجم الضخم عن الفصحى في العامية المغربية ، ويحتوي آلاف الالفاظ ذات الاصل العربي ، وقد ارفقه بدراسة مقارنة لتطور استعمال تلك الالفاظ ووجوه اشتقاقها ، مع موازنة ذلك بالتأثيرات اللغوية التركية والفارسية واليونانية واللاتينية والفرنسية والاسبانية . وقد حمل عبد العزيز بنعبد الله منذ وقت بعيد لسواء الدعوة الى تفصيح العامية في العالم العربي ، واجرى مقارنات بين عامية المغرب وعامية الشام من ناحية وعامية المغرب وعامية مصر من ناحية اخرى .

وفي دراسة لمنهجه يقول : ان اغلب الاصول والقواعد الاسلامية مشتركة بين الفصحى والعامية المغربية ، حتى ما يتصل بالقلب والابدال والتسهيل والترخيم والنحت ، وتمتاز العامية بمظاهر بسيطة تجعلها في بعض الاحياء اكثر ابعالا في القلب والتسهيل

« التيارات الكبرى لحضارة المغرب (بالفرنسية) » وأضاف إليه « تاريخ المغرب في دراسة مقارنة للنصوص العربية والاجنبية » ثم « جغرافية المغرب » ثم « الطب والاطباء بالمغرب » من هذه المجلدات السبع تكونت موسوعة ضخمة ، تعد من المراجع الأساسية للحضارة المغربية ، ولا عجب فالاستاذ عبد العزيز هو استاذ الحضارة والفن بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالإضافة الى ادارة المكتب الدائم للتعريب . فهذا عمل تخصص فيه منذ عشرين عاما ، فاذا عرفنا أنه من مواليد عام 1923 ، وأنه أحرز اللسانس في الآداب والحقوق عام 1946 ، ثم درس العلوم الإسلامية على مجموعة من كبار العلماء بالرباط عجبنا لهذا الذكاء والنبوغ .

ولقد لفت نظري الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله بصورة باهرة ، في خلال اعداد دراستي عن الفكر والثقافة في المغرب العربي بأقطاره الأربعة في فترة الاحتلال الفرنسي لهذه الاقطار حتى عام 1954 تقريبا ، لفت نظري بالتناجيه الضخم الواسع المسوع ومنهجه العلمي ، وله الى هذه الموسوعة « الحضارة المغربية آثار اخرى منها « الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب » و « الإسلام في تطور » أو « الإسلام في طريق التقدم كتبه باللغة الفرنسية » ، وله بالفرنسية أيضا « الفن المغربي »

ومن هنا كان اهتمامي بكتابه عن تاريخ المغرب في العصر الحديث والفترة المعاصرة ، الذي تحدث فيه عن تاريخ المغرب منذ قيام الدولة العلوية وتجديد وحدة المغرب الى العصر الحديث ، موليا اهتمامه للعصر الاسماعيلي ثم الاستعمار الفرنسي بالجزائر والمقاومة المغربية المسلحة ، والكفاح السياسي لهذه الحياية ، ودور الملك محمد الخامس والشعب في المقاومة وقد اهتم المؤرخ بحركة الأمير عبد الكريم الخطابي في الريف ، ومضى في دراسته مفصلا تطور الحضارة والفن ، وموارد الدولة ، ونظم البلديات والتعليم ، والمحاكم الأهلية . ثم رسم صورة رائعة للمقاومة والمطالبة بالاستقلال وقيام الكتلة الوطنية ملتفة حول الملك محمد الخامس .

ولعل لروع ما في هذه الدراسة ، ذلك المعجم التاريخي عن أهم الأحداث والاعلام والأماكن ، الذي يبدو جم الفائدة للباحث من خارج نطاق المغرب حيث تبدو بعض الكلمات ولها طابع غريب معين .

وبعد ما توسع المؤلف الجليل في ايراد جوانب من المعجم التاريخي الذي ضمه الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الى كتاب تاريخ المغرب ، والذي تناول فيه أكثر من ثلاثمائة مادة أكد أنه أتى بذلك ليدل على منهج البحث العلمي ، الذي يبرز دائما في دراسات عبد العزيز بنعبد الله ، مما يدل على تنوع دراساته وتعمقها واشتمالها على ابحاث التراث واللغة والتاريخ والتحصارة .